الإنسان وحريّاته الأساسيّة، وأنّ هذا النظام لا يتعارض مع موروثنا الدينيّ والحضاريّ بل يُعدّ شرطًا لتجدّده واستمراره في العصر الحديث.

غير أنّ الإضافة الفكريّة لهيئة ١٨ أكتوبر لا يمكن أن تخفي إخفاقاتِها السياسيّة التي تجلّت في الأبعاد الثلاثة التالية:

١/ أنّ شدة الضغط على نشاط الهيئة حال دون قيام تحرّكات ميدانيّة تكون في مستوى الانتظارات التي أثارها إضرابُ الجوع.

٢/ أنّ طولَ الوقت الذي استغرقه النقاشُ الفكريّ، والتردّدَ في التقدّم به، حالا دون تطوير أرضيّة الهيئة إلى مستوى البرنامج السياسيّ، فعجزتْ بذلك عن مواكبة التطوّرات السياسيّة التي عرفتها البلاد. فلئن بدت المطالبُ الحقوقيّة التي قامت عليها الهيئةُ كافيةً لتحريك الوضع سنة ٢٠٠٥، فإنّ اقتراب موعد الانتخابات العامّة لسنة ٢٠٠٩ وما طرحتْه من قضايا (كمسألة الشرعيّة السياسيّة والتداول على السلطة) جعل تلك الهيئة تتخلّف عن هذا الاستحقاق الوطنيّ، فتفقد وظيفتَها السياسيّة من دون أن تضيف إلى الحقل الحقوقيّ شيئًا يُذكر، وصحّ في شأنها قولُ ابن خلدون: «كلُّ واقفٍ في تأخّر!»

٣/ واليوم، بعد انقضاء الانتخابات العامة لشهر أكتوبر ٢٠٠٩، وتواصُلِ احتكار الحزب الحاكم للتمثيل الشعبيّ في مجلس النواب وفي مختلف المجالس البلديّة والهيئات التمثيليّة، تجد البلادُ نفسَها من جديد أمام استحقاق دستوريّ يضعها على مفترق طرق: إمّا القبول بتحوير الدستور مرةً أخرى بما يَضْمن للرئيس الحاليّ البقاءَ في الحكم مدى الحياة وما يقتضي ذلك من وضع آليّاتٍ للخلافة لا يكون للشعب قولٌ فيها؛ وإما العمل على شقّ طريق للانتقال إلى الديمقراطيّة والتداول السلميّ على الحكم في أفق عام ٢٠١٤.

وبالرغم من حيوية هذا الاختيار ومصيريّته، فإنّ الأطراف المكوِّنة لهيئة ١٨ أكتوبر لا تبدو على استعداد لتحمّل مهامّ هذه المرحلة الدقيقة لأسباب يمكن تلخيصُها في: أ) الحالة الصعبة التي عليها الحركةُ الإسلاميّةُ بسبب الضغط المصلتِ على قياداتها الخاضعة للإقامة الجبريّة في مناطق متباعدة، وبسبب استفحال الخلاف داخلها حول تقييم المرحلة السابقة واستشراف ملامح العمل المستقبليّ. ب) توزّع الحركة العلمانيّة على مجموعات متناثرة لأسبابٍ شتّى، أهمُّها التقوقعُ التنظيميّ والاختلافُ في التصوّرات وصيغِ العمل.

وهكذا يتّضح أنّ الاتفاق حول أسس النظام الديمقراطيّ البديل، والتقدّمَ في صياغة عهد ديمقراطيّ، لا يكفيان، على أهميتهما، للتأسيس لفعل سياسيّ موحَّد يبني الكتلةَ التاريخيّةَ التي تحتاجها البلادُ للانتقال إلى الديمقراطيّة.

تونس

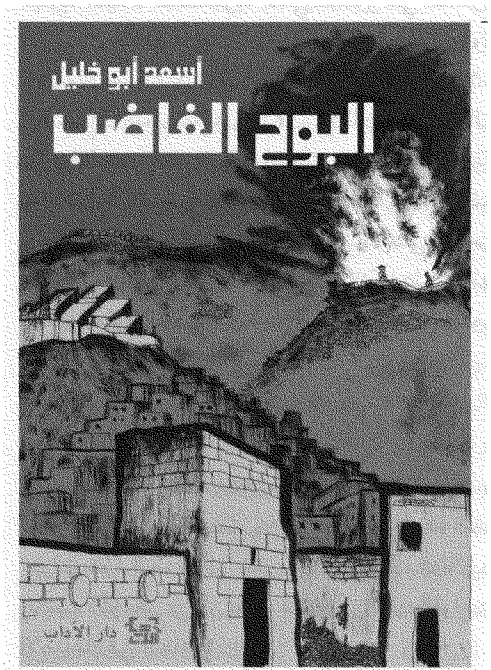

هناك من سيجد في الكتابات المرصوصة تطرُّفًا وحدّة وغضبًا... أنا نتاج حقبة من أصعب الحقبات في التاريخ العربيّ المعاصر. أنا وليد تجربة فيها الكثير من الأمل والعزم والحزم والتصميم والمثابرة والثوريّة، وفيها الكثير من الخيبة والألم والقهر والعذاب والتعذيب والحلم والارتداد والانكفاء والتساقط والانتهازيّة.

لا يمكن أن تكون الكتابة ترفًا ووسطيّة مزيّفة لمن عاش ونجا من اجتياح إسرائيل (أو اجتياحات إسرائيل) للبنان عبر السنوات...

هذه المقالات تعبّر عن مرحلة قاسية... تلت عدوان تمّوز على لبنان. ففيها الكثير من التغلغل الصهيونيّ في المنطقة العربيّة جغرافيًا ونفسيًا ودعائيًا وإعلاميًا. لكنْ تبقى الكتابة مجرّد كتابة. والرفض والعصيان يحتاجان إلى كتابة... وإلى أكثر بكثير من كتابة. الكتابة وحدها لا تكفي.

من مقدّمة المؤلّف